شدة الأهوال يوم القيامة

قال ربنا: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ (القمر: ٤٦)، أي أعظم وأشق وأكبر من كل ما يتوهم أو يدور في الخيال. مهما دار ببالك وجرى بعقلك وخيالك من أهوال الآخرة فهي أعظم وأشد وأكبر من كما ما تتصوَّر. ما أنذر الله عباده بيوم كيوم القيامة، وما حذرهم من يوم كما حذرهم من ذلك اليوم فأهواله مذهلة عظيمة شديدة مقلقة مفزعة مخيفة. كيف لا وهو اليوم الذي أعده الله لحساب العباد على كل ما قدموه وعملوه وتبلى فيه السرائر، وينكشف المخفي في الضمائر، ويكون مصير الخلق إما إلى جنة وإما إلى نار فرحماك يا رب فليس لنا سواك. رحماك يا رب فلا ملجأ لنا غيرك ولا منجى منك إلا إليك.

ومما يدلنا على شدة الأهوال في هذا اليوم أمور منها:

١- وصف الله ذلك اليوم بأنه يوم عظيم ثقيل عسير

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (المطففين: ٤-٦)، فهو يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب من خسر فيه أدخل نارًا حامية؟ وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي يقومون حفاة عراة غرلًا في موقف صعب حرج ضيق في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم ويغشاهم من أمر الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ (الإنسان: ٢٧). وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ (المدثر: ٨-١٠). قال للشيخ العدى رَحِمَهُ اللهُ أي فإذا نفخ في الصور للقيام من القبور، وجُمع الخلائق للبعث والنشور ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ لكثرة أهواله وشدائده ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ لأنهم قد أيسوا من كل خير وأيقنوا بالهلاك والبوار. ومفهوم ذلك أنه على المؤمنين يسير كما

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (القمر:٨)[1].

٢- شدة الفزع والرعب الذي يصيب العباد فيه

فالمرضع التي ترضع ولدها وهي تحبه وتفديه بنفسها بمجرد أن ترى أهوال ذلك اليوم تذهل عن وضيعها وتنساه، والمرأة الحامل تسقط حملها، ويسير الناس في أرض المحشر وهم يترنحون ويتمايلون ويضطربون في سيرهم كالسكارى وليس الذي بهم هو السُّكر بل هو شدة الفزع مما يشاهدون من أهوال يوم القيامة.

قال ربنا جل جلاله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج:١-٢).

---

(1) تفسير السعدي (ص:١٠٦١).

قال الحافظ ابن كثير: فإن زلزلة الساعة شيءً عظيم، أي أمرٌ عظيم، وخطيبٌ جليل، وطارق مفظع، وحادث هائل وكائن عجيب والزلزال هو ما يحصل للنفوس من الرعب والفزع. يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت فتشغل لهول ما ترى عن أحب الناس إليها، والتي هي أشفق. ذكر عن يحيي بن معاذ أنه قرئ في مجلة: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ (مريم: ٨٥-٨٦).

فقال: يا أيها الناس مهلًا مهلًا، غدًا تحشرون إلى الموقف حشرًا حشرًا، وتأتون من الأطراف فوجًا فوجًا، وتوقفون بين يدي الله فردًا فردًا، وتسألون عما فعلتم حرفًا حرفًا، ويقاد الأولياء إلى الرحمن وفدًا وفدًا، ويرد العاصون إلى جهنم وردًا وردًا ويدخلون جهنم حزبًا حزبًا، وكل هذا إذا دكت الأرض دكًا دكًا، كان مقداره خمسين ألف سنة، يوم الراجفة، يوم الأزفة، يوم القيامة،

يوم الحسرة والندامة فذلك يوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم الزلزلة، يوم الصيحة، ويوم الحاقة، ويوم القارعة، ويوم النشور، ويوم ينظر المرء ما قدمت يداه، ويوم التغابن، ويوم يصدر الناس أشتاتًا، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، ويوم لا يغني مولى عن مولى شيئًا، ويوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا، يوم كان شره مستطيرًا، ويوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها[1].

عليه، ندهش عنه في حال إرضاعها له ولهذا قال: «وكل وضعة ولم يقل كل مرضع وقال: عما أرضعت» أي عن رضيعها قبل فطامه «وتضع كل ذات حمل حملها» قبل تمامة لشدة الهول. ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ أي من شدة الأمر الذي قد صاروا فيه قد دهشت عقولهم وغابت

---

(1) تنبيه الغافلين للسمرتندي (ص:٣٧-٣٨).

أذهانهم فمن رآهم حسب أنهم سكارى «وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد»[1].

ولشدة الهول تشخص الأبصار إلى السماء فلا تطرف العيون ولا يلتفتون يمينًا ولا شمالًا ولشدة الخوف تصبح قلوبهم خاوية لا تعي شيئًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ (إبراهيم: ٤٢-٤٤).

فالعيون لا تطرف من شدة ما ترى من الأهوال وما

---

(1) «المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير» (ص:٨٨٣) بتصرف يسير.

أزعجها من القلاقل. «مهطعين» أي مسرعين إلى إجابة الداعي حين يدعوهم إلى الحضور بين يدي الله للحساب لا امتناع لهم ولا محيض ولا ملجأ «مقنعي رءوسهم» أي رافعيها قد غُلَّت أيديهم إلى الأذقان فارتفعت لذلك رؤوسهم «لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء أي أفئدتهم فارغة من قلوبهم قد صعدت إلى الحناجر لكنها مملوءة من كل هم وغم وحزن وقلق[1].

وترتفع القلوب إلى الحناجر فلا تخرج ولا تستقر في أماكنها «وأنذرهم يوم الآذفة إذ القلوب لدي الحناجر كاظمين ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾[2] (غافر:١٨).

وحسبك أن تعلم أن الوليد الصغير الذي لم يرتكب

---

(1) «تفسير السعدي» (ص:٤٨٧).

(2) كاظمين: أي ساكتين ولا يتكلمون.

حرمًا بمجرد أن يرى الأهوال في ذلك اليوم يشيب شعره من شدة الفزع والرعب والخوف قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ (المزمل: ١٧).

٣- طول ذلك اليوم وشدة حرة

هذا اليوم الحق طويل زمانه مديد أوانه وحرة شديد وكربه عظيم قال ربنا جل وعلا: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤).

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل**» قال سليم بن عامر: فوالله ما ادري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين.

قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق

إلجامًا». قال: وأشار رسول الله بيده إلى فيه[1].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**يعرف الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم**»[2]. فهل عملت لذلك اليوم؟! هل استعددت بعمل صالح تنقذ فيه نفسك من أهواله؟!

٤- انقطاع الأنساب وفرار الناس بعضهم من بعض

في هذا اليوم يتبرأ كل قريب من قريبه، الكل يريد أن ينجو بنفسه ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ (المؤمنون: ١٠١). يفر الإنسان من أحب الناس إليه يفر من أخيه، ويفر من أمه، ويفر من أبيه، يفر من زوجته وأولاده قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾

---

(1) رواه مسلم برقم ٢٨٦٤.

(2) رواه البخاري برقم ٦٥٣٢، ومسلم برقم ٢٨٦٣.

وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (عبس:٣٤-٣٧). ولشده الهول وعظمة الكرب يود المجرم أن يفدي نفسه من عذاب الله ولو كان بأولاده وزوجته وإخوته بل وقبيلته ودولته كلها ألمهم أن ينجو هو ولكن إني ذلك وقد جاء إلى ربه بجرمه وذنبه وقبيح فعله.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴾ (المعارج:١١-١٨).

٥- شدة غضب الجبار يوم القيامة

إن مما يقلق القلب ويبهت العقل ويدهش اللب ويذهل النفس ويؤلمها ويخيفها ويفزعها أن ربنا الرحيم الرحمن يغضب في ذلك اليوم غضبًا عظيمًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله حتى إن الأنبياء يفزعون ويخافون ولا يستطيعون أن يشفعوا إلى ربهم في خلقه

فيتدافعون الشفاعة وكلهم يذكر ذنبه الذي يظنه ذنبًا ويقول اذهبوا إلى غيري فإن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله[1]. فاللهم إنا ضعفاء أذلاء لا نقوى ربنا على غضبك قنا عذابك يوم تبعث عبادك.

ومما يفزع القلب أن الأعضاء والجوارح تشهد بين يدي الله بما عملت كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (فصلت: ٢٢).

وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال ﷺ: «**أتدرون مما اضحك؟**» قلنا: «الله ورسوله أعلم» قال ﷺ:

---

(1) رواه البخاري برقم ٥٣٣٤٠ ومسلم برقم ١٩٤.

«من مجادلة العبد وربه يوم القيامة يقول رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى فيقول: لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا، وبالكرام الكتاب شهودًا فيختم على فيه ويقال لأركانه: انطقي فتنطق بعمله. ثم يخلَّى بينه وبين الكلام فيقول بعدًا لكن وسحقًا فعنكن كنت أنا صل»[1].

٦- اجتماع الخلائق كلها مع الصمت العجيب

يجمع الله كل خلقه من إنسان وحيوان وطير ووحشي وغير ذلك ومع شدة الزحام وكثرة الجوع المضطربة فلا تسمع منهم صوتًا ولا حس فالكل خائنون وجلون فهم يعاينون يوم القيامة ويرون كل ما يحير العقول ويزلزل القلوب.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ

---

(1) مسلم برقم ٢٩٦٩.

وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿ (طه:١٠٨).

يا الله!! يا له من مشهد! أني للقلوب المؤمنة اليوم أن تركن إلى معصية الله فستجلب بذلك غضبه؟! أني للعقول السليمة أن تؤثر لذة عاجلة على سلامة من الأهوال في ذلك اليوم؟! وأني للقلوب التي امتلأت بالخشية منه أن تقصر في طاعة أو تفرط فيها؟! تأمل يا عبد الله فالأمر خطير، بل هو أخطر وأدهى وأعظم من كل خطر. تذكر كيف ترى بعينيك أن السماء تتشقق وأن الشمس تكورَّ ويذهب ضوءها وتتساقط النجوم وتسير الجبال كالسحاب، وتجتمع الوحوش مع الناس في أرض المحشر فلا تفكر قط في أن تفترس فريسة أو أن تزمجر بغضب أو تصدر صوتًا عاليًا بل الكل ساكنون ساكتون خاشعون لأن هول القيامة أذهل كل القلوب وزلزل كل النفوس حتى الوحوش فما بالك بغيرهم؟!

مثل لنفسك أيها المغرور يوم القيامة والسماء تمورُ

إذ كورت شمس النهار وأوتيت حتى على رأس العباد تسيرُ
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت وتبدلت بعد الضياء كدورُ
وإذا البحار تفجرت من خوفها ورأيتها مثل الجحيم تفوز
وإذا الجبال تقلعت بأصولها فرأيتها مثل السحاب تسيرُ
وإذا العشار تعطلت وتخربت خلت الديار فما بها معمورُ
وإذا الوحوش لدى القيامة وتقول للأملاك أين تسيرُ
وإذا الموؤدة سئلت عن شأنها وبأي ذنب قتلها ميسورُ
وإذا الجليل طوي السماء بيينه طى السجل كتابه المنشورُ
وإذا الجنين بأمه متعلقُ يخشى القصاص وقلبه مذكورُ
هذا بلا ذنب يخاف جناية كيف المصر على الذنوب زفيرُ
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت لفتى على طول البلاء صبورُ

٧- شدة الحسرات يوم القيامة

قال ربنا جل وعلا: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ (مريم:٣٩). والإنذار هو الإعلام بالمخوف على وجه الترهيب والإخبار بصفاته والحق ما ينذر به ويخوف به العباد يوم الحسرة حين يقضى الأمر فيجمع الأولون

والآخرون في موقف واحد ويسألون عن أعمالهم، فمن آمن بالله واتبع وبتبع رسله شقي شقاوة لا يسعدُ بعدها وخسر نفسه وأهله فحينئذ يتحسَّر ويندم ندامة تنقطع منها القلوب وتتصدَّع منها الأفئدة وأي حسرة أعظم من فوات رضا الله وجنته[1]؟!

ومن هذه الحسرات قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾

(الفرقان: ٢٧-٢٩)

ومن ذلك ما رواه البخاري أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل أخذ الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرًا، ولا يدخل النار أحدٌ إلا أرى مقعده

---

(1) تفسير السعدي (ص:٥٦٩).

من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة»[1].

ومن ذلك تبرؤ السادة من المتبوعين وشدة حسرات كلًا منهم قال ربنا: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾

(البقرة: ١٦٦-١٦٧)

ويتحسَّر المفرطون الذين فرطوا في طاعة الله وانشغلوا بسفاهة الدنيا وزينتها عن الآخرة قال ربنا: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾

(الزمر: ٥٥-٥٦)

---

(1) رواه البخاري.

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٠-٣٢)

هذا اليوم يتحسر فيه الجميع، يتحسر المحسن على قلة إحسانه والمسيء على ذنوبه وعصيانه لكن حسرة المسيء لا تنفعه لأنه قد انقض الأجل واليوم حسابٌ ولا عمل إنها حسرات وندامات تأكل القلوب وتزعج النفوس فنعوذ بالله من الحسرة يوم الحسرات ونسأل الله ربنا أن يقينا شر ذلك اليوم.

يا من وسعت برحمة كل الورى من قد أطاع ومن غدًا يتأثَّمُ
إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ فبمن يلوذ ويستجير الآثمُ

اللهم رحمتك ترجو فلا تخيب فيك رجاءنا، اللهم

عافنا وأعف عنا وعلى طاعتك أعنا ومن شر يـوم القيامـة سلمنا.

٨- تبرؤ الشيطان من أتباعه

يتبرأ الشيطان من الترميم أضلهم وأغواهم يوم القيامة ويعلق بأنه لن يستطيع أن ينقذها من عذاب الله ومن ينقذوه هم فالكل في العذاب معفرون وإلى النار يساقون وهنا تأتي خطبة المجرم الأثيم الشيطان الرجيم في أتباعه فيقول كما ذكر الله تعالى عنه: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾

(إبراهيم: ٢٢)

٩- إخراج بعث النار

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله عز وجل: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك قال: يقول أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. قال: فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» قال: «فاشتد ذلك عليهم» فقالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ فقال: «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة» فحمدنا الله وكبَّرنا لم قال: «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فحمدنا الله وكبرنا ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أوكار قمة في ذراع

الحمار»[1].

فيامن بين يديه يومً لا شك فيه ولا يرا، يقع فيه الفراق وتنفصم العُرى، تدبر أمرك قبل أن تحضر فترى، وانظر لنفسك نظر من فهم ما جرى قبل أن يغضب الجبار القهار رب الورى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ (آل عمران: ٣٠).

يوم تشيب لهوله الأطفال، يوم تُسيَّر فيه الجبال، يوم يظهر فيه الوبال، يوم قد خاب فيه من افترى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾.

ينصب الصراط فناج وواقع، ويوضح الميزان فتكثر الفظائع، وتنشر الكتب فتسيل المدامع، وتظهر القبائح بين تلك المجامع، ويخسر العاص ويربح الطائع، وأذهل الكل ما قد وقع وجرى «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ

---

(1) رواه البخاري برقم ٣٤٤٨ ومسلم برقم (٢٢٢).

مُحْضَرًا »[1].

(1) «التبصرة لابن الجوزي» ١/ ٦٤ بتصرف.

obeikandl.com